مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(أفسس ٢: ٤–١٠)

يا إخوةُ إنَّ اللهَ لكونِه غنيًّا بالرحمةِ ومن أجلِ كثرةِ محبتِه التي أحبَّنا بها* حين كنَّا أمواتاً بالزلّاتِ أحيانا مع المسيح. (فإنَّكم بالنعمةِ مخلَّصون)* وأقامنا معه وأجلسنا معه في السماويَّاتِ في المسيحِ يسوع* ليُظهرَ في الدهورِ المستقبَلةِ فَرْطَ غِنى نِعمتِه باللطفِ بنا في المسيحِ يسوع* فإنَّكم بالنِعمةِ مخلَّصونَ بواسطةِ الإيمان. وذلك ليس منكم إنَّما هو عطيَّةُ الله* وليس من الأعمالِ لئلاَّ يفتخِرَ أحدٌ* لأنَّا نحنُ صُنعَه مخلوقينَ في المسيحِ يسوعَ للأعمالِ الصالحةِ التي سبقَ اللهُ فأعَدَّها لنسلُكَ فيها.

دخول السيدة إلى الهيكل

تحتفل الكنيسة المقدسة في الحادي والعشرين من تشرين الثاني بعيد دخول سيدتنا والدة الإله إلى الهيكل. لقد نذرها والداها يواكيم وحنّة إلى هيكل الله، وقد وفيا نذرهما عندما صارت مريم في الثالثة من عمرها وقدّماها لكي «تتربى في قدس الأقداس». هناك تقبّلها النّبي زخريا والد يوحنا المعمدان وأسكنها الهيكل «لتتربى بالطهارة لكي تصير عرشا إلهياً لسيد الكل وبلاطاً وسريراً ومسكناً منيراً»، وصارت الملائكة تأتيها بالطعام كونها «ستكون بالحقيقة هيكلاً كليّ القداسة لإلهنا القدوس». وهكذا، وكما توصي تراتيل الدخول، فإن هذا العيد الذي يأتي في بدايات صوم الميلاد الذي فيه نتهيأ لاستقبال ولادة ربنا بالجسد، يُعتبر مقدمة لتحقيق وعد الله بالخلاص عبر التجسد. طروبارية هذا اليوم تقول: «اليوم البتول التي هي مقدمة مسرة الله»، ومسرة الله تحققت عندما صار الإله إنساناً لأجل خلاص البشر فرتلت الملائكة «المجد لله في العلى وعلى الأرض السلام وفي الناس المسرّة». وتعبيراً عن الترابط بين العيدين نبتدئ في عيد الدخول ترتيل كاطافاسيات الميلاد في صلاة السَحَر: «المسيح وُلد فمجّدوه، المسيح أتى من السموات فاستقبلوه...». كما ان معظم التراتيل تتحدث عن دور مريم في تجسد الرب كما رأينا في الترانيم الواردة أعلاه.

العدد ٢٠١١/٤٧
الأحد ٢٠ تشرين الثاني ٢٠١١
تقدمة عيد دخول سيدتنا والدة الإله الفائقة القداسة إلى الهيكل
وتذكار أبوينا الجليلين في القديسين غريغوريوس البانياسي وبروكلس رئيسي أساقفة القسطنطينية
اللحن السادس
إنجيل السَحَر الأول

ليس الإحتفال بعيد دخول السيدة إلى الهيكل مجرد تذكّر لحدَث تاريخي، إنما هو احتفال بالعقيدة المسيحية الإيمانية القائلة بأن كل كائن بشري خُلق لكي يكون هيكلاً حيًّا لله. مريم العذراء هي صورة كل كائن بشري، فكما صارت هي بالروح القدس هيكلاً ومسكناً لسكنى رب المجد، نحن جميعنا مدعوون أن نصير هيكلاً ومسكناً يستريح فيه الرب، وهذه هي القداسة. ألا «يستريح (الرب) في قديسيه»؟ مريم العذراء هي صورة كل المخلَّصين. هي النموذج لكل واحد منا. فمنذ لحظة ولادتها حتى رقادها تُظهر لنا كيف يجب أن يكون البشر عندما يتقدَّسون بالروح القدس في المعمودية

الإنجيل

(لوقا ١٢: ١٦-٢١)

قال الربُّ هذا المَثَل: إنسانٌ غنيٌّ أخْصَبَت أرضُهُ* ففكّر في نفسِه قائلاً ماذا أصنعُ. فإنَّه ليس لي موضِعٌ أخْزُنُ فيه أثماري* ثمّ قال أصنعُ هذا: أهدِمُ أهرائي وأبني أكبرَ منها وأجمعُ هناك كلَّ غلاَّتي وخَيراتي* وأقولُ لنفسي: يا نفسُ إنَّ لكِ خيراتٍ كثيرةً موضوعةً لسنينَ كثيرةٍ فاستريحي وكُلي واشرَبي وافرَحي* فقال له اللهُ يا جاهلُ في هذه الليلةِ تُطلَبُ نفسُك منك. فهذه التي أعدَدْتَها لِمَن تكون* فهكذا مَن يدَّخِرُ لنفسه ولا يستغني بالله* ولمَّا قال هذا نادى مَنْ لهُ أُذُنانِ للسمع فليسمَعْ.

تأمل

يجب على المرء أن يقتني الأموال كسيّد حقيقي وليس كعبدٍ لأنه لا يوجد إنسان أكثر حماقة من عبد الأموال إذ يعتقد أنه يتسلّط عليها بينما في الحقيقة هي التي تحكمه. لقد جعل من نفسه أسيراً يقنع نفسه بأنه سيدها، وبينما يرى كلباً مسعوراً ينقض على نفسه، فبدلاً من أن يقيّده ويُكرّسون خدّاماً لله ومقتدين بالمسيح. فكل مَن يكون على صورة مريم وحاملاً إيمان مريم سوف يصير هو مسكناً للرب ويصبح أيضاً «الكلمة السماوية» لمجد الآب. «أيتها البتول أم الإله، أنت كرازة الأنبياء ومجد الرسل وفخر الشهداء وتجديد جنس الأرضيين بأسره. لأننا بكِ تصالحنا مع الله لذلك نكرّم دخولك إلى هيكل الرب. فنحن جميعنا نهتف نحوك مرتلين بالسلام مع الملاك، أيتها الكلية الشرف لأننا نخلص بشفاعاتك».

أولى ترانيم عيد الدخول، في صلاة الغروب، تدعو المؤمنين للإبتهاج «مرنمين للرب بالمزامير والتسابيح، مكرّمين مظلته السماوية التابوت المتنفس الذي وسع الكلمة غير الموسوع». فالتابوت الذي حوى لوحي العهد، الوصايا العشر، في العهد القديم صار صورة للعذراء مريم التي حوت في حشاها الكلمة الرب المتجسد الذي لا يسعه مكان. هي تابوت العهد الجديد والهيكل الحي المتنفس لمجد الله. كل ما كان ظلاً ونموذجاً في العهد القديم صار حقيقة مع دخول مريم العذراء إلى الهيكل لتتربى هناك لتصير مسكناً للإله.

عيد الدخول دعوة لكل المعمَّدين الذين صاروا أيضاً تابوتاً للعهد عندما زُرعت فيهم بالروح القدس كلمة الله، أن يكونوا على صورة مريم العذراء ويصيروا فعلاً مسكناً للرب ويعكسوا هذه الصورة قولاً وفعلاً وفكراً في حياتهم وتصرفاتهم. انه دعوة لنا لأن نكون على صورة مريم التي حافظت على أمانتها لله طيلة ايام حياتها فانتقلت «إلى الحياة» عند رقادها كما نرتل في عيد رقادها. انه دعوة للأهل لكي يفكروا ملياً في ما يُربون أولادهم عليه. يواكيم وحنة أرسلا مريم لتتربى في ما لله في هيكل مجده. هناك بالطبع أهل يهتمون أن يتربى أولادهم في ما لله، وهناك أهل لا يهتمون بهذا. مهم جداً أن يفكر الأهل في أن يؤمّنوا الخلاص لأولادهم من ضمن الأمور التي يسعون لتأمينها لهم. ليكن الكتاب المقدس من الهدايا التي سيقدمها الأهل لأولادهم في عيد الميلاد. ليكن الإنخراط في أنشطة الشبيبة والطفولة في الرعايا من ضمن الأمور التي يحمّس الأهل أولادهم عليها. لتكن الكنيسة من ضمن الأمكنة التي يشجع الأهل أولادهم على الذهاب إليها.

حول سر التوبة والإعتراف

«اقبلوا الروحَ القدسَ، مَن غفَرتُم خطاياه تُغفر له ومَن أمسكتم خطاياه أُمسكت» (يو ٢٠: ٢٢-٢٣).

من مفاعيل قيامة المسيح في حياتنا إعطاء السيد سلطان غفران الخطايا لتلاميذه. فإن الكنيسة، من حيث هي شركة الحياة بالروح القدس، تهب هذه الحياة للمؤمنين.

أما سرّ التوبة والإعتراف، فله وجهتان إثنتان:

أولاً إمكانية الإنحراف الشخصي أو الجماعي لعضوٍ واحدٍ أو لكلّ جماعة شعب الله عن مشيئة الله، سواء بالأفعال أو بالأفكار أو بالمعتقدات.

أمّا الوجهة الثانية فهي سلطة جسد المسيح كجماعة حاملة للنعمة الإلهيّة، أي الأسقف والكهنة والشعب، على منح غفران الخطايا للمؤمن بعد اعترافه بزلاّته.

ويجعله يذوي جوعاً، يعطيه الغذاء أكثر فأكثر لكي يصبح مخيفاً أكثر وينقضّ عليه باندفاع كبير.

لا تعتقد أنك باكتسابك الكثير تحصل على لذّة حقيقية. اللذة والسعادة والسكون تملكها بعدم رغبتك بالثراء، وإن سعيت إلى الثروة فلن تنجو أبداً من المتاعب، لأنّ شهوة الغنى هي ولع لا ينطفئ. كلما قطعت مسافة أطول كلما ابتعدت عن هدفك النهائي، وكلّما رغبت بالمال أكثر كلّما كان صراعك أكبر.

لا يشتهي الفقير الأشياء الضرورية بقدر ما يشتهي الغني الأشياء الزائدة.

...لقد جعلك الله غنيًّا لكي تساعد مَن هم بحاجة ولكي تجد بالتالي مغفرة خطاياك بمحبتك للبشر. لم يعطك أموالاً لكي تحفظها وتتلف نفسك بل لكي توزعها وتخلُص. لهذا السبب جعل الغِنى غير مؤكد ومؤقّتاً وغير مستقر لكي يقلّل عشقك للأموال. الآن إذاً، إن كانت المحافظة على الغِنى غير مؤكدة وتحتفّ حولها المخاطر والمكائد والخوف، وأنت تسعى إليه مسعوراً، فكم من الجرائم كنت سترتكب من دون تردّد لو كنت متأكّداً من أنك ستحتفظ به؟

وغفران الخطايا في تقليدنا الأرثوذكسي هو عمل شفائيّ.

مصدر الغفران هو حياة الجسد الكنسي بالروح القدس وشركة المؤمنين. لذلك فإنّ أيّ جهادات يمكن أن يحدّدها الأب الروحي للإنسان المعترف، لها فقط غاية تربويّة، أي إعادة إيقاظ الحس الروحي في الإنسان وتصعيد حركة التوبة لديه.

ومعنى فعل الشفاء متعلّق بشكل أساس بشركة الكنيسة: «حيثُ اجتمع إثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم» (متى ١٨: ٢٠). حيث يجتمع المؤمنون ويحضر الرب وتفعل النعمة يكون السر.

أما كون الغفران صادراً عن حياة الجسد ذاته وعن شركة المؤمنين، فهو أمر عبَّرت عنه الكنيسة الأولى بالاعتراف الجماعيّ، حيث كان السر يجري علانية أمام كلّ جماعة الكنيسة. ولدينا منذ القرن الثالث روايات عن اعترافٍ سريّ غيرِ علني يختصُّ ببعض الخطايا دون سواها. وابتداءً من القرن الرابع حدّدت الكنيسة أن يتم الإعتراف بكل الخطايا بشكل سرّي بين المؤمن والكاهن.

يمكن أن نتفهّم كيف أن الغيرة الأولى في الكنيسة يصعب وضعها في إطارٍ مفتوحٍ في مجتمعاتٍ كبرى. على هذا أُسِّس الإعتراف السريّ والذي يقوم بوساطة الأساقفة خلفاء الرسل. وفي فترة لاحقة من تاريخ الكنيسة، تمّ تعيين كاهن مسؤول عن سرّ الإعتراف. هذا لا يعني أنّ الشعب لا يشارك في السرّ، فالأسقف يمثّل كلّ الجماعة، وباسم الجماعة يحمل سلطان النعمة. الأسقف أو الكاهن يمثّل الكنيسة بجملتها في منح الغفران.

لكن ما مشكلة الإنسان في عصرنا مع هذا الطرح اللاهوتي؟

أسوأ ما في التطور الواسع النطاق لوسائل الإتصال في عالمنا المعاصر، والتي يقال إنها جعلت الكون قرية صغيرة، أنها عزلت الإنسان بشكل كامل عن أخيه الإنسان. وسائل الاتصال الحديثة باتت وسائل ناجحة في تستّر الانسان خلف قناع كاذب: يدّعي الانفتاح بينما هو منغلق على ذاته. الإنسان المعاصر يتصل بالجميع ولكنه لا ينجح في لقائهم الشخصي. لا مجال البتة للقاء الوجوه. قد تشاهد من تعرفه على شاشة الكومبيوتر ولكنك تعجز عن أن تجلس إليه لتنظر في عينيه. نحن اليوم في قريتنا الكونية التي تطال أطرافها أرجاء الكون بأسره ضيّقون أكثر من أي وقت مضى. الانفتاح الحقيقي إنما يكون في تخطّي حاجز الخطيئة الذي يعزل الإنسان. كلٌّ منا رازح تحت أعباء آثامه منكمشٌ عليها، وإن أقرّ بها فهو يقرّ بينه وبين نفسه فقط، لأنه يعتبرها من «خصوصياته»، فيعترف بها «بينه وبين الله» كما يقول. كلٌّ منا يحوّل حياته الداخلية إلى «قدس أقداس» لا يلجه أحد، ولا حتى المسيح، لأن باب النفس بات مقفلاً بالخطيئة وحب الذات.

وحدها أسرار الكنيسة قادرة اليوم على انتشال الإنسان من دوامة الظروف التي تسيّره وتستعبده. لكن مفتاح هذا كلّه يبقى ذلك الشعور الذي ألمّ بالإبن الشاطر حين اشتهى أن يملأ بطنه من الخرنوب الذي كانت الخنازير تأكله، ولم يستطع. ساعتئذٍ، يخبرنا الإنجيل، «رجع إلى نفسه... وقال اقوم اذهب إلى أبي

قُل لي، مَن كان أكثر فقراً من النبي إيليا؟ ولكنه بالرغم من هذا الفقر كان أسمى وأكثر غبطةً من الأغنياء جميعهم لأنّ قلبه الغني كان يعتبر أنّ أموال العالم بأسره لا تساوي شيئاً إذا ما قورنت بالحياة بالقرب من الله. لو كان يعتبر أشياء هذا العالم مهمة لما كانت لديه عباءة واحدة فقط، لكنه كان يحتقر كلّ شيء مادي كأنه باطل، حتى أنّه كان يرى الذهب وكأنه وحل، وها هو الملك الغني آخاب كان يسمع بذهول أقوال النبي الفقير الإلهية. كم كانت العباءة أعلى وأكثر لمعاناً وقيمةً من الأرجوان الملوكي، والمغارة حيث كان يُقيم إيليا البار أعظم بهاءً من القصور! لهذا السبب عندما صعد بعربته النارية إلى السماء لم يترك شيئاً لتلميذه أليشع سوى هذه العباءة. قال له: «بهذا صارعتُ ضدّ الشيطان. خذها أنت إذاً وافعل الأمر نفسه، لأنّ عدم القنية سلاح قوي لا يُغلب»، وَقَبِلَ أليشع العباءة على أنها الإرث الأكبر حقاً إنّ قيمتها أكثر من ذهب الأرض كلّه. بهذه العباءة صار أليشع إيليا مضاعفاً: نبياً وصانعاً للعجائب.

القديس يوحنا الذهبي الفم

وأقول له أخطأت يا أبي إلى السماء وأمامك...» (لو ١٥: ١٧–١٨).

هذا الشعور بسوء حالنا، حاجتنا إلى المسارعة إلى المسيح هو سرّ التوبة، الذي به يمكن خلاص إنساننا اليوم.

في الإدانة

ذات مرة ذهب علماني إلى إسقيط «كافسوكاليفيا» لكي يصير راهباً. لم يقبله آباء الإسقيط لأنه كان كسولاً ومهملاً كما كان أيضاً سبب عثرة ويسبب مشاكل عديدة. لكنّه ارتاح في الإسقيط لذلك رجا الآباء أن يتركوه علمانياً فيساعدهم في العمل.

هكذا أمضى حياته في الإهمال والكسل حتى ساعة مماته حين سقط طريح الفراش وكان يحتضر. اجتمع الآباء حوله وكانوا دائماً بجانبه.

في أحد الأيام وصل المتهيّء للموت إلى حالة انخطاف... تعجّب الآباء ممّا يحدث. وعندما استعاد قواه أخبرهم بالأمر المخيف التالي: رأيت رئيس الملائكة ميخائيل ممسكاً بيديه ورقةً تحتوي على خطاياي وقال لي:

– «أنظر، ما تراه هنا قد فعلته، لهذا استعدّ للذهاب إلى الجحيم».

حينئذ قلت له:

– «هيا أنظر فيما بين كلّ هذه الخطايا، أتجد خطيئة الإدانة؟». فتّش رئيس الملائكة وقال لي: «لا، لا توجد». قلت له: «ينبغي ألاّ أذهب إلى الجحيم عملاً بما قاله السيد: لا تدينوا لكي لا تُدانوا».

حينئذ مزّق رئيس الملائكة ميخائيل الورقة الحاملة خطاياي. هكذا يا آبائي سأذهب إلى الفردوس. عندما قلتم لي إنّي لا أصلح لأن أكون راهباً في الإسقيط وكنت أعمل كعلمانيّ، شاركت في أحد الأعياد بالقداس الإلهي، وسمعت كلمة الإنجيل «لا تدينوا لكي لا تُدانوا» وقلت: «أيها الشقي طبّق هذه الوصيّة على الأقل». وهذه خلّصتني من دون أيّ تعب آخر. وما أن انتهى من هذه العبارات حتى أسلم روحه لرئيس الملائكة ميخائيل.

الأب باييسيوس الاثوسي

دخول السيدة إلى الهيكل

بمناسبة تذكار دخول سيدتنا والدة الإله الفائقة القداسة إلى الهيكل تُقام خدمة صلاة الغروب عند السادسة من مساء الأحد ٢٠ تشرين الثاني وخدمة القداس الإلهي عند التاسعة والنصف من صباح الإثنين ٢١ تشرين الثاني في كنيسة دير دخول السيدة في الأشرفية.

عيد القديسة كاترينا

بمناسبة عيد القديسة العظيمة في الشهيدات كاترينا تُقام خدمة صلاة الغروب عند السادسة من مساء الخميس ٢٤ تشرين الثاني ٢٠١١ وخدمة القداس الإلهي عند التاسعة والنصف من صباح الجمعة ٢٥ تشرين الثاني في كنيسة القديسة كاترينا في دير زهرة الاحسان.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:
www.quartos.org.lb